

اغتنام الأيام والليالي

إذا عرفنا أن هذه الأيام وهذه الليالي التي تمر بنا؛ عرفنا أن لها فضائل ومواسم؛ فإن علينا أن نستغلها عموماً وخصوصاً، أما العموم فهو حرصنا على كل وقت يمر بنا أن نستغله فيما يفيد. كل وقت وكل يوم يمر بنا نحرض على ألا يمضي إلا وقد أودعناه عملاً صالحاً نجده عند الله تعالى؛ وذلك لأن هذا اليوم يودع ما عمل فيه. كما روي عن بعض السلف أنه قال: إن هذه الأيام والليالي خزانتان يعني: مملوءتان بما يخزن فيهما، وإنها في يوم القيامة تفتح؛ فالمسلمون المحسنون يجدون في خزائنتهم العزة والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنتهم الحسرة والندامة؛ لذا نستغل كل يوم يأتي علينا فيما يفيدنا؛ وذلك لأنه يوم جديد لم يأتنا من قبل. إذا تقلص وانتهى لا يعود إلينا. لا يعود إلينا أمس الماضي ولا الذي قبله. كل يوم قد مضى فإنه لا يعود إلينا، وهو سوف يشهد علينا: مضى أمس كالماضي شهيداً معدلاً وأعقبه يوم عليك جديد أمستك الذي قد مضى لا حيلة لك في رده، وهذا اليوم يوم جديد فاستغله ولا تفرط في إضاعته، ولا تستعمله في لهو وسهو، فإنه شهيد عليك شهيداً معدلاً بما عملت فيه. يروى أن كل يوم ينادي: { يا ابن آدم، إني يوم جديد وإني بما تعمل فيّ شهيد فأغتنمني، فإنني لا أعود } يعني: لا أعود إليك فإذا كان كل يوم ينادينا نستغله، ونحرض على أن نعمل فيه عملاً صالحاً، فكيف بكل أسبوع؟ وكيف بكل شهر؟ وكيف بكل سنة؟ وكيف بالسنوات التي مرت علينا؟ هل حاسبنا أنفسنا عما عملنا فيها؟ هذا من واجبك أيها المسلم. من واجبتنا أن كلما مر بنا يوم حاسبنا أنفسنا؛ ما الذي تعدد؟ وما الذي تجدد؟ وما الذي استفدنا فيه؟ هل نحن في هذا اليوم خير منا بالأمس؟ هل نحن في هذا العام خير منا في العام الذي قبله؟ هل نحن في هذه السنوات خير منا أو دون ذلك؟ فإذا كنا قد تزودنا خيراً فإن ذلك علامة السعادة والفلاح. روي عن بعض السلف أنه قال: من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان يومه دون أمسه فهو محروم، ومن لم يتفقد الزيادة في عمله فهو في نقصان، وهذا صحيح؛ وذلك لأنك في العام الماضي عمرك -مثلاً- قليل، وفي هذا العام قد نقص عمرك، أفلا تشعر بأنك قربت من الأجل، قربت من الآخرة؟ ألا تغير حالتك؟ ألا تزدد حسناً إلى حسن؟ ألا تزيد وتضاعف أعمالك؟ ألا تتفقد نفسك؟ ألا تحاسب نفسك على ما تمر به؟ حاسبوا أنفسنا في كل يوم. هل تزودنا أم فرطنا أم ماذا عملنا؟ محاسبة النفس ليست محاسبتها على ما اكتسبنا من الأموال، أو على ما جمعنا من الأرباح، أو ما أشبه ذلك؛ بل إن من محاسبة النفس محاسبتها على ما تزودنا من الحسنات، وما اقترفناه من السيئات، وما غُدرنا في ذلك. هذه هي المحاسبة التي حث عليها أمير المؤمنين - رضي الله عنه - حيث يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر: { يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ } فإذا عرفنا: نفاسة هذه الأيام، وأنها من الأعمار فإن الذين يستطيّلونها، ويملون من طول الوقت ويقولون: إننا نشعر بفراغ، ثم مع ذلك يشغلون أوقاتهم ويضيعون أيامهم في اللعب الملهي ونحو ذلك.